ROWAQ MAYSALOON
رواق ميسلون
دراسات سياسية وثقافية
Political and Cultural Studies
مجلة فصليّة تصدر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر

الثورة السوريّة: هُزمت أم ما زالت مستمرّة؟

في هذا العدد

■ حوار العدد؛
- بينت شيلر
- سميح شقير

■ راتب شعبو؛
النجاح والإخفاق في الثورة
■ محمد عمر كرداس؛
الثورة السورية: قراءة في أسباب الهزيمة وما بعدها

■ شخصية العدد؛
إلياس مرقص

العدد التاسع نيسان/ أبريل 2023

رواق ميسلون
ROWAQ MAYSALOON

العدد التاسع
نيسان/ أبريل 2023

التحرير

رئيس التحرير
Editor in Chief
حازم نهار
Hazem Nahar
مدير التحرير
Editorial Manager
نور حريري
Nour Hariri
سكرتير التحرير
Editorial Secretary
وسيم حسان
Wasim Hassan
المحرر الثقافي
Cultural Editor
راتب شعبو
Rateb Shabo
هيئة التحرير
Editorial Board
جَوى العامري
Jawa Alamiri
خلود الزغيّر
Kholoud El-Zughayyar
ريمون المعلولي
Rimon Almaloly
غسان مرتضى
Ghassan Mortada

الهيئة الاستشارية

أيوب أبو دية
Ayoub Abudeah
(الأردن)
Jordan
جاد الكريم الجباعي
Gadalkareem Aljebaei
(سورية)
Syria
حسن نافعة
Hasan Nafaa
(مصر)
Egypt
خالد الدخيل
Khaled Eldakhil
(السعودية)
Saudi Arabia
خطار أبو دياب
Khatar Abu Diab
(لبنان)
Syria
دلال البزري
Dalal Al Bizri
(لبنان)
Lebanon
سعيد ناشيد
Saeed Nashed
(المغرب)
Morocco
سمير التقي
Samir Altaki
(سورية)
Syria
عارف دليلة
Aref Dalila
(سورية)
Syria
عبد الحسين شعبان
Abd Alhusain Shaban
(العراق)
Iraq
عبد الوهاب بدرخان
Abd Alwahab Badrkhan
(لبنان)
Lebanon
كارستين فيلاند
Carsten Wieland
(ألمانيا)
German
كمال عبد اللطيف
Kamal Abdelateef
(المغرب)
Morocco

التدقيق اللغوي
Proofreading
شيري أيهم
Shery Ayham
التصميم والإخراج
Design and Layout
شيرين فوزي
Sherein Fawzy
المشرف التقني
Technical Supervisor
طارق رضوان
Tarek Redowan

ميسلون للثقافة والترجمة والنشر

مؤسسة ثقافية وبحثية مستقلة، غير ربحية، تُعنى بإنتاج ونشر الدراسات والبحوث والكتب التي تتناول القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط، وتولي اهتمامًا رئيسًا بالترجمة بين اللغات الأوروبية، الإنكليزية والفرنسية والألمانية، واللغة العربية. وتهدف إلى الإسهام في التنمية الثقافية والتفكير النقدي والاعتناء الجاد بالبحث العلمي والابتكار، وإلى تعميم قيم الحوار والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان. وتسعى لتبادل الثقافة والمعرفة والخبرات، وإقامة شراكات وعلاقات تعاون وثيقة مع المؤسسات والمعاهد والمراكز الثقافية والعلمية، العربية والأوروبية. وتؤمن بأهمية تعليم وتدريب الشباب، والأخذ بيدهم، والارتقاء بهم ومعهم في سلّم الإبداع والإنتاج، وتعمل لتكون خططها التدريبية متوافقة مع المعايير العالمية، بالتعاون مع مجموعة من الخبراء العرب والأوروبيين.

رواق ميسلون

مجلة «رواق ميسلون» للدراسات الفكرية والسياسية؛ مجلة بحثية علمية، فصلية، تصدر كل ثلاثة أشهر عن مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر، ولها رقم دولي معياري (ISSN: 2757-8909). وتُعنى بنشر الدراسات ومراجعات الكتب، ويتضمن كل عدد منها ملفًا رئيسًا ومجموعة من الأبواب الثابتة. وللمجلة هيئة تحرير متخصِّصة، وهيئة استشارية تشرف عليها، وتستند المجلة إلى أخلاقيات البحث العلمي، وقواعد النشر المعتمدة عالميًا، وإلى نواظم واضحة في العلاقة مع الباحثين، وإلى لائحة داخلية تنظّم عملية التقويم.

تطمح المجلة إلى طرق أبواب فكرية سياسية جديدة، عبر إطلاق عملية فكرية بحثية معمّقة أساسها إعمال النقد والمراجعة وإثارة الأسئلة، وتفكيك القضايا، وبناء قضايا أخرى جديدة، وتولي التفكير النقدي أهمية كبرى بوصفه أداة فاعلة لإعادة النظر في الأيديولوجيات والاتجاهات الفكرية المختلفة السائدة.

اللوحات في هذا العدد للفنان التشكيلي
السوري سامر إسماعيل

المراسلات باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني:
rowaq@maysaloon.fr

باريس، فرنسا: 0033 7 66 60 08 90
إسطنبول، تركيا: 0090 531 245 0871
الموقع الإلكتروني: www.maysaloon.fr
البريد الإلكتروني: info@maysaloon.fr

مراجعات وعروض كتب

من كسر جرَّة الثَّورة السوريَّة؟ عن آصف بيات وكتابه: ثورة بلا ثوّار

قراءة: عبد الرزاق دحنون

لوحة للفنان سامر إسماعيل (تحليف) 2018

من كسر جرَّة الثَّورة السوريَّة؟
عن آصف بيات وكتابه: ثورة بلا ثوّار

قراءة: عبد الرزاق دحنون

عبد الرزاق دحنون

كاتب وباحث سوري، مُقيم في مدينة إزمير التركية، مواليد إدلب عام 1963، إجازة في العلوم الطبية - قسم تخدير وإنعاش - المعهد الطبي - جامعة حلب السورية. كتب العديد من البحوث والدراسات العلمية الطبية في جريدة النور السورية. بدأ الكتابة عام 1980 في مجلة الهدف الفلسطينية التي أسسها الشهيد غسان كنفاني في بيروت عام 1969. يكتب اليوم في العديد من الصحف والمجلات العربية منها: صحيفة الاتحاد الحيفاوية، جريدة طريق الشعب العراقية، جريدة الميدان السودانية، جريدة النور السورية، جريدة قاسيون السورية، جريدة العربي الجديد، جريدة الخليج الإماراتية، مجلة الجديد اللندنية، مجلة الثقافة الجديدة العراقية، مجلة الفيصل، مجلة المجلة العربية، مجلة الكاتب اليساري الكندية، وفي العديد من المواقع الإلكترونية.

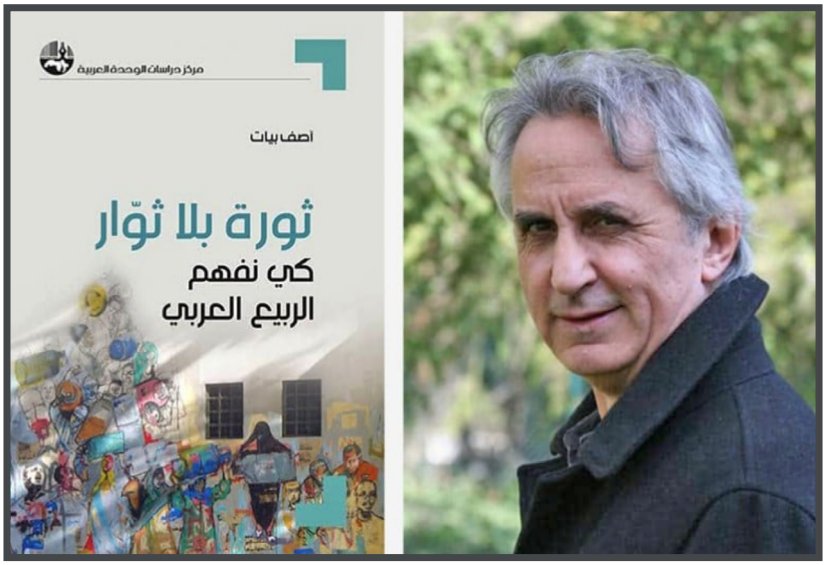

اسم الكتاب: ثورة بلا ثوّار؛ كيف نفهم الربيع العربي

المؤلِّف: آصف بيات

ترجمة: فكتور سحّاب

الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية

مكان وتاريخ النشر: الطبعة الأولى، بيروت، نيسان/ أبريل 2022

عدد الصفحات: 350 صفحة

«في أثناء الثورة، يتعلم الملايين وعشرات الملايين من الناس في أسبوع واحد أكثر مما تعلموه في عام كامل من الحياة العادية الخاملة»

لينين

استهلال

جـاء فـي الأثـر: نزلـتُ فـي بعـض القـرى وخرجـتُ فـي الليـل لحاجـة، فـإذا بأعمـى علـى عاتقـه جـرة ومعـه سـراج. فقلـتُ لـه: يـا هـذا أنـت الليـل والنهـار عنـدك سـواء، فمـا معنـى السـراج؟ فقـال: يـا أحمـق حملتـه معـي لأعمـى البصيـرة مثلـك يسـتضيء بـه فـلا يعثـر بـي فأقـع أنـا وتنكسـر الجـرَّة.

يطـرح المؤلفـون أفـكارًا ووجهـات نظـر فـي كتـب تُنيـر لنـا عتمـة الـدروب وتُهدينـا سـواء السـبيل حتـى لا نمسـي كحاطـب ليـل. وقـد تذكّـرتُ فـي أثنـاء مُطالعتـي كتـاب المفكـر الأميركـيّ الإيرانـيّ الأصـل **آصـف بيـات** «ثـورة بـلا ثـوّار؛ كيـف نفهـم الربيـع العربـي» كتابيـن مهميـن عـن الثـورات والثـوّار توقفـتُ عندهمـا طويـلًا فـي مسـيرة حياتـي الفكريّـة، همـا: كتـاب المفكـر الفرنسـيّ **ريجيـس دوبريـه** «ثـورة فـي الثـورة؛ الصـراع المسـلّح والصـراع السياسـيّ فـي أميـركا اللاتينيّـة» الـذي يوثـق أفـكار قـادة الثـورة الكوبيـة خاصـة وعمـوم قـادة ثـورات أميـركا اللاتينيـة عامـة، ومنهـم خوسـي مارتـي وفيـدل كاسـرو وأرنسـتو شـي جيفـارا، ويدخـل فـي جـدل عميـق مـع ثـورات أميـركا اللاتينيـة فـي سـتينيات القـرن العشـرين، وكان وقـع الكتـاب عظيمًـا فـي عالمنـا العربـي حيـن ترجمتـه دار الآداب فـي بيـروت عاصمـة لبنـان فـي سـبعينيات القـرن العشـرين. وكتـاب المفكـر الباكسـتاني **طـارق علـي** «مـآزق لينيـن» الـذي صـدر بنسـخته الإنكليزيـة عـام 2017 وترجمـه **أميـر ذكـي**، وصـدرت طبعتـه العربيـة فـي القاهـرة – مصـر، الكتـب خـان للنشـر والتوزيـع، عـام 2018. والملاحظـة المهمـة التـي يمكـن أن نلاحظهـا هنـا هـي: إن وجهـة نظـر أصحـاب هـذه الكتـب –والكتـب وجهـات نظـر فـي العمـوم– كانـت ثاقبـة لأنهـم رأوا الحـدث بـلا حُجـب الأيدولوجيـا التـي تعيـق الرؤيـة، فكانـت وجهـات نظرهـم واضحـة وهـم الذيـن رأوا مـا لا يـراه صاحـب «العقيـدة» فـي هـذه الثـورات، بمعنـى أنهـم كانـوا يحملـون علـى أكتافهـم سـراجًا يُنيـر لهـم –أو لنـا إن شـئت ذلـك– دروب الثـورات التـي تحدثـوا عنهـا. حيـث يوكّـد المفكـر العراقـي الماركسـي ابـن محلّـة «كـرادة مريـم» فـي بغداد، **هـادي العلـوي** فـي هـذا المقـام: «العقيـدة هـي الرقيـب الداخلـي الـذي لا يقـل سـوءًا عـن الرقيـب الرسـمي. والعقيـدة هـي المسـؤولة عـن تكويـن الوجـدان القمعـي للأفـراد ومصـادرة حريّـة الضميـر والوجـدان. وهـي وإن كانـت مفيـدة لتحريـك الجمهـور فـي منعطـف تاريخـيّ معيـن، يجـب أن تبقـى فـي منـأى عـن النضـال اليومـيّ، لئـلا تكـون كمـا يقـول الإمـام أبـو حامـد الغزالـي حجابًـا يمنـع مـن النظـر إلـى حقائـق الأشـياء».

عن المؤلف

آصـف بيـات، أسـتاذ علـم الاجتمـاع ودراسـات الشـرق الأوسـط فـي «جامعـة إلينـوي– إيربانـا شـامبين» فـي شـيكاغو فـي الولايـات المتحـدة، كمـا عمـل مديـرًا فـي «المؤسسـة الدوليـة لدراسـة الإسـلام والعالـم المعاصـر» فـي «جامعـة ليـدن» فـي هولنـدا. تـدور أبحاثـه حـول موضوعـات عديـدة، مـن بينهـا الحـركات الاجتماعيـة والتغييـر الاجتماعـي، الديـن والمجتمـع، الإسـلام والعالـم المعاصـر، والمجـال الحضـري والسياسـة. مـن كُتبـه المهمـة الضخمـة والمُترجمـة إلـى العربيـة كتـاب: «الحيـاة سياسـة؛ كيـف يُغيّـر بسـطاء النـاس الشـرق الأوسـط» ترجمـة **أحمـد زايـد** مـن إصـدار المركـز القومـي للترجمـة، مصـر، عـام 2014؛ وسـأعود إلـى هـذا الكتـاب فـي فصلـه الرابـع عشـر الـذي كتبـه المؤلـف بطلـب مـن مترجـم الكتـاب إلـى العربيـة **أحمـد زايـد** عـن ثـورات الربيـع العربـي. وكتـاب «مـا بعـد الإسـلاموية؛ الأوجـه المتغيـرة للإسـلام السياسـي» ترجمـة **محمـد العربـي** صـادر عن جـداول للنشـر والترجمـة والتوزيـع، عـام 2016. وأخيـرًا كتابه

هـذا الـذي بيـن يدينـا «ثـورة بـلا ثـوّار؛ كيـف نفهـم الربيـع العربـي» صـادر عـن مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، ترجمـة **فكتـور سـحّاب** فـي 350 صفحـة، الطبعـة الأولـى، بيـروت، نيسـان/ أبريـل 2022. وكانـت طبعتـه الإنكليزيـة بعنـوان:

Revolution without Revolutionaries Making Sense of the Arab Spring Asef Bayat (Stanford CA: Stanford University Press 2017)

فصول الكتاب

أحـد عشـر فصـلًا يطـرح فيهـا **آصـف بيـات** رؤيتـه أو قُـل «وجهـة نظـره» فـي أسـباب انتفاضـات أو احتجاجـات أو ثـورات الربيـع العربـي عـام 2011 جـاءت عناويـن فصـول الكتـاب كمـا يلـي:

الفصل الأول: ثورات الزمن الخاطئ

الفصل الثاني: ماركس في الثورة الإسلامية

الفصل الثالث: الثورة في الحياة اليومية

الفصل الرابع: ليس لاهوت تحرير

الفصل الخامس: مدن المعارضة

الفصل السادس: ساحات وميادين متضادّة

الفصل السابع: ربيع المفاجأة

الفصل الثامن: نصف ثورة ليست ثورة

الفصل التاسع: النبض الراديكالي الاجتماعي

الفصل العاشر: ألم الانتقال

الفصل الحادي عشر: الثورة والأمل

كمـا أضـاف المؤلـف بطبيعـة الحـال إلـى كل فصـل مـن فصـول كتابـه عناويـن فرعيّـة أو أبوبًـا فتحهـا بعناويـن فرعيّـة ليتيسـر للقـارئ التنقـل بيـن فقـرات الكتـاب بسـهولة ويسـر. يقـول فـي مقدمـة الكتـاب: «الواقـع أن تفكيـري فـي الثـورة وتجاربـي معهـا، يعـود إلـى زمـن الثـورة الإيرانيّـة فـي عـام 1979، والتـي كُنـت فيهـا مُراقبًـا مُشـاركًا. وقـد أعـدتُ مُراجعـة دراسـاتي السـابقة فـي شـأن الثـورة الإيرانيّـة، مـن أجـل هـذا الكتـاب، مـن أجـل المُقارنـة. لكـن الجـزء الأهـم مـن جهـد التفكيـر والبحـث والكتابـة، الـذي اسـتند إليـه هـذا الكتـاب، بـرز بمجـرد انـدلاع الاحتجاجـات فـي سـيدي بوزيـد، التونسـيّة، ومـا تـلاه مـن تطـوّرات فاجـأت العالـم. ومـع الانتفاضـات التـي توالـت فـي مصـر وليبيـا واليمـن وسـورية والبحريـن، انغمسـتُ انغماسًـا أعمـق فـي محـاولات فهـم مـا الـذي جـرى بهـذه السـرعة».

ثـمَّ يقـول: «كنـتُ مُـدركًا للتحديـات التـي يواجههـا المـرء عنـد دراسـة الثـورات فـي أثنـاء حدوثهـا. فكيـف يمكـن أن يقـوم الباحـث بعملـه فـي الأوقـات الثوريّـة المضطربـة، الزاخـرة بالنـزاع والتضحيـات والمؤامـرات والانفعـالات، تلـك الأوقـات التـي تكـون فيهـا حيـاة النـاس، وحريّتهـم، ورفاههـم المـادي في

خطر؟ كيف يمكننا أن نراقب الحوادث ونفهمها، وهي لا تزال جارية، ما العمل عندما تكون عمليّة المراقبة نفسها، من حيث أثرها، تدخّلًا في الحوادث؟ وقبل كل شيء، كيف يتعيّن على المرء أن يتحرّك بين موقفِ مَن يريد أن يرى نجاح الانتفاضة، ومَن يريد مع ذلك أن يحتفظ برزانة روح النقد الأكاديميّة البحثيّة، والنزاهة والصدق في الأحكام؟ إنني آمل أن يكون هذا النص قد أخذ تلك الهموم في الحسبان، ونجح في تجنّب مزالقها المحتملة».

لو استعرضنا عناوين فصول الكتاب لوجدنا أن المؤلف يُسلط الضوء -وللضوء في هذا المقال شأن مهم- على طيف واسع من «علامات» الثورات والانتفاضات -نجاحها أو فشلها- في الشرق الأوسط والعالم، حيث يُوكّد في بداية الفصل الأول الذي كان بعنوان «ثورات الزمن الخاطئ»: «تسنى لي أن أُراقب حدثين ثوريّين تفصل بينهما ثلاثة عقود. ففي أواخر السبعينيّات من القرن العشرين في إيران، انخرطتُ وأنا ناشط شاب، في ثورة، كانت فاتحة فصل جديد في السياسة العالمية. إنني أشير هنا إلى الثورة الإيرانيّة في عام 1979، التي تقريبًا كان الساندينيّون يطيحون حكم الدكتاتور أناستاسيو سوموزا في نيكاراغوا، وكانت أيضًا حركة الجوهرة الجديدة في غرانادا التي قادها اليساري موريس بيشوب تنهي حكم إريك غيري الأميركي الميول. قُبيل ذلك كانت انتفاضة اشتراكيّة تؤسّس في اليمن في السبعينيّات الجمهوريّة الشعبيّة الديمقراطيّة، بينما كانت جبهة تحرير ماركسيّة- لينينيّة تسعى لقلب الحكم في مشيخة عُمان المجاورة. ومع اندلاع هذه الثورات في وسط أجواء الحرب الباردة، فإنها استحثّت هبّة راديكاليّة ديمقراطيّة تُنادي بالعدالة الاجتماعيّة، وتُناهض الإمبرياليّة والرأسماليّة. وقد تابعتُ بشغف تلك الحوادث، وكان فيّ فضولٌ حيال السياسات الثوريّة، وحماسةٌ لاحتمالات مستقبل أفضل لهذه الشعوب التي قاست حكم قمع استبداديًا طويل الأمد، ولو أنني أُثبطّتُ بما نتج منها في الغالب من حكمٍ قمعيٍ».

ما يقوله **آصف بيات** هنا يُذكرني بحوار طويل جرى في أثناء الثورة السوريّة في أواخر عام 2015 قُبيل دخول الثوار مدينة إدلب في الشمال الغربي من سورية بعدة أشهر مع صديقي غسّان غنّوم السوري الكندي المسيحي الذي كان في السبعين من عمره، يتحدث الفرنسية والبلغارية والإنكليزية بطلاقة، تعرَّفت إليه قبل الثورة السورية بسنة، وكان يجلس في مكتبتي لساعات، واختلفنا اختلافًا كبيرًا حول مفهوم الثورات، كان مع الانتقال السلميّ من مرحلة إلى مرحلة ولا يؤيد العنف الثوري على طريقة حرب العصابات كما فعل الثائر الأرجنتيني أرنستو شي جيفارا، أو بأشكال العنف الثوري الأخرى المتعددة ولا حتى طريقة وديع حداد في الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين أيام خطف الطائرات المدنيّة «ليلى خالد» في بدايات سبعينيات القرن العشرين للفت نظر العالم إلى القضية الفلسطينيّة. وقد ترجم لي نصًا عن الفرنسيّة للمفكر والكاتب الفرنسيّ **ريجيس دوبريه**، يقول فيه: إن إحدى مفارقات الثورات أنها تؤدي إلى إبطاء سير الأشياء، بعد تسارع كبير في البداية، قبل أن يتحوّل لاحقًا إلى منظومة مكابح ثقيلة. هناك في الثورات مناسبات كثيرة للفرح والبهجة، ولكن أيضًا للحزن والعزاء، وعلى المدى الطويل تتحول البهجة إلى مرارة، وأحيانًا كثيرة إلى كوابيس. سبق وكتب فكتور هوغو عن ذلك، فالانتفاضة الباريسية الكبرى حملت إلى السلطة، وهذه مفارقة جديدة، نابليون الثالث، وهو إمبراطوريّ جدًا، وأحمق بالمناسبة. البؤس يقود الشعوب إلى الثورات، والثورة تعيد الشعب إلى البؤس؛ هذا ما قاله فكتور هوغو الذي يستشهد به ريجيس دوبريه. إنها حلقة تراجيدية كوميدية مستمرة. الثورات التكنولوجيّة فقط، تشذّ عن هذه القاعدة، لأن لا عودة فيها

البتة إلى الوراء. لن نعود إلى الشمعة بعد أن اخترعنا الكهرباء، ولا إلى السفن الشراعيّة بعد أن ابتكرنا المحرّكات. الإنترنت غيّر وجه العالم. هنا تقبع محرّكات التاريخ الحقيقيّة الضامنة الوحيدة لتقدم لا رجعة فيه إلى الوراء، سواء أكان جيدًا أم سيئًا.

وتراني أتفق معه في الرأي لأن الثورات مثل الكهرباء تُنير لنا الوجود، فينكشف حالنا وتظهر عيوبنا كلها دفعة واحدة، وهذه مفارقة مذهلة في دلالتها. وهذا بالضبط ما حدث في ثورات الربيع العربي، لقد عرّت واقعنا، وانكشفت أحوالنا، فأصبحنا عراة بحادث إحراق «محمد البو عزيزي» نفسه في مدينة سيدي بو زيد في 16 كانون الأول/ ديسمبر 2010 احتجاجًا على مصادرة الشرطة التونسيّة عربة خضار كان يعيش محمد البو عزيزي مع أسرته من دخلها القليل. عندها تذكرتُ حكاية قرأتها في مجلة «الفيصل» قبل أشهر من «الربيع العربي» في العدد المزدوج 405-406 مارس/ آذار 2010 بعنوان «الفاقة» من تأليف الكاتب الروسي الساخر **ميخائيل زوشينكو** كتبها عام 1925، وترجمها عن الروسية السوري **هشام حمادي**، وقد قرأتُها لصديقي غسّان غنّوم في إحدى جلساتنا في مكتبتي، فأعجب بها، وحفظها عن ظهر قلب، وناقشني في موضوعها وقال إنها تعادل «طنًا» من الأفكار، فابتسمت، فقال: نعم، تبسّمكَ في وجه أخيك صدقة، ولكن ما سبب تبسّمك الآن؟ قلتُ: فكرة جيدة أن تزن الأفكار بالطن، هذه جديدة لم أسمعها من قبل. في القصّة تأثيرات مذهلة تنطبع في الذاكرة البشريّة فتحرّضها على التذكّر والانتباه الدائم واليقظة، إنها أبدع -على قصرها- ما يمكن أن تقرأه في الحياة. ووجدتُ بأنه قد نسخها بين أوراقه بعد أن استعار مجلّة «الفيصل» التي نشرت القصة، وقد تجرأ وأجرى تعديلات على الترجمة الأصلية التي قام بها المترجم **هشام حمادي**. وهذا نصّ القصّة كما وجدتها بين أوراقه بعد أن غادرنا وغيّر عنوانه لتستقر روحه في السماء:

ما الكلمة الدارجة الآن أيها الرفاق؟ لا شك أن الكلمة التي تدور على كل شفة ولسان هي الكهرباء. ولا يختلف اثنان على أن كهربة البلاد أمر في منتهى الأهمية. ولكن ما زال لهذا الأمر جوانبه غير المضيئة. لستُ أقصد -يا رفاق- أن الثمن مرتفع. كلا فهو ليس أغلى من النقود، ولكن ما أقصده شيء آخر، وإليكم بيت القصيد:

حتى الأمس القريب كنتُ أعيش -أيها الرفاق- في بناء ضخم، لا يُضاء إلا بالكيروسين. بعض الناس يستخدم القنديل القديم، وبعضهم الآخر اقتنى القنديل الحديث، بينما لا يزال آخرون يستخدمون الشموع، يا له من بؤس.

وفجأة بدأ تمديد خطوط الكهرباء لتصل إلى البيوت. كان المفوّض أول من مدّ منزله بالكهرباء، ولكنه لم يكد ينير بيته بالكهرباء حتى طرأ تغير كبير على سلوكه، فلسبب ما أصبح مهمومًا كثير التأمل والشرود، ومع ذلك لم ينبس ببنت شفة، ولم يشكُ أو يتذمّر. لم تلبث عدوى الكهرباء أن أصابت بليزافيتا بيتروفيتا صاحبة الشقة التي أسكن فيها. وفي ذات مرة قالت لي: الجميع يُمدد خطوط الكهرباء، ألم تر أن المفوّض نفسه قد أنارت الكهرباء بيته، فما رأيك؟ وافقت طبعًا.

مددنا الكهرباء، وغمر نورها المكان، ولكن يا إلهي، أيّ شيء هذا!؟ فالبؤس والفاقة يضربان أطنابهما في كل مكان. وأنّى نظرتَ لا ترى إلا ما يُثير القرف والاشمئزاز. فحتى الماضي القريب كنت تذهب إلى العمل صباحًا، ولا تعود إلا مع حلول الظلام. وبعد تناول الشاي تأوي إلى فراشك من

دون أن تميز شيئًا في ضوء القنديل الخافت أو الشمعة الهزيل. أما الآن، وبعد أن غمر النور المكان، بتّ ترى الحذاء المهترئ، وترى ورق الجدران الملوث والممزق، وترى البق ينساب أفواجًا، هربًا من الضوء الباهر، وترى خشب النوافذ المسوس، وترى أعقاب السجائر المبعثرة في كل مكان، يا إلهي، ما هذا البؤس الذي يحيط بنا ونعيش في كنفه؟

أي مصيبة هذه، فحيثما نظرت ترى ما يزعج البصر، وما لا يسر الخاطر: فالكنبة التي كانت حتى الماضي القريب كنبة لا بأس بها، لا بل جيدة، وغالبًا ما كنتُ أجلس عليها في الأماسيّ، وآخذ قسطًا من الراحة. أما الآن فلم أكد أشعل الضوء حتى وقفتُ قبالتها فاغر الفم، جاحظ العينين. أي كنبة هذه؟ إنها ممزقة وملوثة ببراز القطط، مبقورة البطن، منهوشة الصدر، تتدلى من أحشائها حزم القش التي تغص بأنواع الهوام. من المستحيل أن تكون هذه كنبة. إن التفكير المستقيم والروح الحيّة تأنفان من ذلك وتثوران عليه. يا إلهي، ما هذه الحياة البائسة التي أحيا؟

ولم تكن حياة بليزافيتا بيتروفيتا -صاحبة الشقة- بأفضل من حياتي، فتراها مثقلة بالهموم والأحزان، وهي لا تكفّ عن العمل في المطبخ الصغير، وأسألها مستفسرًا: ما الذي يشغل بالك يا سيدتي؟ تنفض يديها من ماء جلي الأواني، ثمّ «تُشوبر» بهما وتقول بأسى: لم أكن أعرف -أيها الشاب- أنني أعيش في مثل هذا الفقر المُدقع.

عندما ألقيتُ نظرة على مطبخ بليزافيتا بيتروفيتا، لم أر إلا البؤس، وسقط المتاع من أواني علاها السخام والصدأ، و«كراكيب مطبخية» لا حاجة لها في أغلب الأحيان. كل هذا يغمره النور الباهر، فيبرزه ظاهرًا للعيان، ويعرض نفسه من دون خجل أو حياء. منذ ذلك الحين أمسيت أعود إلى البيت متذمرًا مهمومًا. ولا أكاد أصل البيت وأشعل الضوء، حتى أرى بؤسي حاضرًا، فآوي إلى فراشي وأنا نهب للأفكار والخواطر السوداء.

بعد أن فكّرتُ في الأمر مليًا، وبعد أن قبضتُ راتبي، اشتريتُ كمية من الكلس، وانكببتُ على العمل بهمة ونشاط. نزعتُ الورق الممزق القذر عن الجدران ونظّفتها من جحافل البق وبيوت العناكب. وكلّستُ السقف والجدران، فأصبح كل شيء أبيض مضيئًا، نظيفًا، يشرح الصدر، ويثير البهجة في النفس. للأسف، لم تدم بهجتي طويلًا، فقد قررت بليزافيتا بيتروفيتا فجأة التخلي عن الكهرباء. ما السبب؟ قالتْ: إن الحياة تبدو في غاية البؤس في الضوء، فما الداعي لتسليط الضوء على حياة مزرية كهذه؟

كم توسلتُ إليها، وحاولتُ إقناعها، وسقتُ لها كثيرًا من الحجج والأمثلة حول فوائد الكهرباء، لكن ذهب جهدي كله أدراج الرياح. أخيرًا نفد صبرها من إلحاحي، وقالتْ: بوسعك أن تُغادر هذه الشقة وتنتقل إلى أخرى «مكهربة» أما أنا فسأعود إلى ضوء القنديل العزيز.

لكن هل الانتقال إلى شقة أخرى بالأمر السهل يا رفاق، خصوصًا أنني أنفقت نصف راتبي على إصلاح هذه الشقة. وهكذا خضعت للأمر الواقع وبقيتُ. إنّ الضوء شيء جيد يا رفاق، لكن للضوء مساوئه أيضًا.

هل للضوء الكاشف محاسن ومساوئ أو معايب ونقائص؟ سلّط **آصف بيات** في كتابه الأضواء على جوانب وزوايا معتمة في ربيع الثورات العربية فانكشف له ما كان مخفيًا ورأى أن: «سرعة

ثورات الربيع العربي وانتشارها وزخمها، لا مثيل لها، إلا أن افتقارها إلى الأيديولوجيا وميوعة تنسيقها وغياب أي قيادة جامعة أو مفاهيم فكريّة لديها، أمور لم يسبق لها مثيل تقريبًا. ولكن الأشدّ إدهاشًا هو افتقارها إلى أي نوع من النزعة الجذريّة التي وسمت الثورات السابقة، وأن مُثُل الديمقراطيّة العميقة والمساواة وعلاقات التملّك المنصفة والعدالة الاجتماعيّة، بهتت أو كانت موضع خُطب، أكثر مما كان يُحفزها اهتمام صادق يرتكز على رؤية استراتيجيّة، أو برامج ملموسة. في الحقيقة، يبقى السؤال: إذا ما كان الذي نجم عن الربيع العربي هو ثورات فعلًا، بالمعنى الذي كان للثورات الرديفة في القرن العشرين».

على كل حال، لو عدنا إلى ما كتبه **آصف بيات** في الفصل الرابع عشر من كتاب «الحياة سياسة؛ كيف يُغيّر بسطاء الناس الشرق الأوسط» وكان الربيع العربي «طازجًا» ما يزال. وهنا جملة اعتراضية، فكلمة «ربيع» لا تعني فصل الربيع بجماله وحلاوة طقسه على حدّ تعبير الكاتب والباحث المصري **مصطفى الفقي**: «ولكنها تتجاوز ذلك إلى التأكيد على أن الحدث الذي يحمل هذا الاسم يمثل أهمية كبرى تكاد تكون بمكانة القلب من الجسد. ولذلك عندما زحف تعبير الربيع العربي على حوادث عام 2011 وما تلاها، أدركنا على الفور أن فصلًا جديدًا في تاريخ المنطقة بدأ يملي سطوره على الساحة العربية وامتداداتها المحلية بصورة غير مسبوقة» وقد كان الأمر كذلك قولًا وفعلًا.

بدأ الفصل الرابع من كتاب **آصف بيات** من الصفحة 499 حتى الصفحة 531، وهو كتاب ضخم كما ترى، حشد فيه المؤلف عددًا من الدراسات البحثيّة في العلوم الاجتماعيّة حلّل من خلالها بنية المجتمعات في الشرق الأوسط، فقد «استطاعت الدول العربية أن تُنتج، عبر الفاعلين الغاضبين، والتفكير السياسي الجديد، والقنوات الجديدة للاتصال والتعبئة، مجالًا عامًا جديدًا يتسم بتوجه ما بعد قومي، وما بعد أيديولوجي، وما بعد إسلاموي. ويقف هذه التفكير الجديد وراء الثورات العربيّة. وقد انتشرت رموز الثورة ومزاجها عبر الوطن العربي مثل الفيضان الهادر، وذلك عبر الأحاديث اليومية، والثقافة السياسية، وعبر اتصالات الناشطين العابرة للحدود، وكان لسان حالهم جميعًا يقول: إذا كان التونسيون قد فعلوها، فلماذا لا نفعلها نحن؟»

خاتمة

هل تستحقّ الثورات هذا القدر من الحب والجهد والأسى والتضحية، عندما لا يكون ثمّة يقين بأنها ستأتي بنظام اجتماعيّ عادل وحرّ؟ كثر هذا التساؤل بعد انتفاضات أو ثورات الربيع العربي ومنها الثورة السورية وسيرها في دروب عسيرة، وعرة وشائكة. وهل من المنطقي أن ينخرط المرء في صنع الثورات التي قد ينتهي بها الأمر إلى اليأس؟ ها أنا أحد المواطنين العرب من مدينة إدلب في الشمال السوري حيث أجبرتنا تداعيات الثورة السورية على الرحيل عن ديارنا لنعيش هنا في المرتفعات الجبليّة في مدينة إزمير على شاطئ بحر إيجة، حياة جديدة لم تكن من بين خطط حياتنا قطّ. نعم، تلك أسئلة منطقيّة، ولكن كم هي أسئلة معقولة ومشروعة؟

يقول **آصف بيات** في ختام كتابه: «يُذكّرنا القائد الثوري ليون تروتسكي بأن الناس ما عادوا يتلهفون للقيام بثورة، كما يتلهّفون للحرب. فبينما يؤدي الإكراه في الحرب دورًا حاسمًا، ليس ثمّة إكراه في الثورة، سوى إكراه الأحوال. فالثورة لا تحدث إلا حين لا يكون ثمّة مَخرَج غيرها. بعبارة

أخـرى، نـادرًا مـا نُقـدم علـى القيـام بثـورة قاصديـن متعمّديـن، بـل إن الأحـوال تُهيّئنـا وتدفعنـا للقيـام بهـا، حيـن تحـدث فعـلًا».

يُتابـع **بيـات** القـول: «إذا كانـت هـذه الجدليّـة الفريـدة بديهيّـة، فـإن احتضـان الثـورات وتعميقهـا منطقـيٌ عندئـذ. ذلـك أن فـي هـذه الحـوادث التاريخيـة أكثـر كثيـرًا مـن مُجـرّد الألـم والثمـن، والثـورات تعنـي أكثـر مـن مُجـرّد تبديـل النظـام، أو التعديـل المؤسّسـي، مـع أن هذيـن يبقيـان جـزءًا لا غنـى عنـه مـن الثـورة. إننـي أفكـر فـي فهـم أكثـر تعقيـدًا للثـورة، فـي السـياق الـذي سـماه ريمونـد وليامـز: الثـورة الطويلـة، أي العمليّـة الصعبـة، بمعنـى أنهـا مركَّبـة وذات وجـوه متعـدّدة؛ فعوامـل التغيـر الكاملـة لا تقتصـر فقـط علـى العامـل السياسـي والعامـل الاقتصـادي، بـل كذلـك عوامـل التغيّـر الاجتماعـي والثقافـي والإنسـاني التـي تنطـوي علـى أعمـق مـا فـي بُنَـى العلاقـات والمشـاعر. وفـي النتيجـة، بـدلًا مـن أن ننظـر فـي النتائـج السـريعة، أو نقلـق فـي شـأن مجموعـة الطالـب، علينـا أن ننظـر إلـى الانتفاضـات العربيّـة علـى أنهـا ثـورات طويلـة قـد تُثمـر فـي عشـر سـنوات أو عشـرين سـنة، بتأسـيس أسـاليب جديـدة لفعـل الأشـياء، وطريقـة مختلفـة فـي التفكيـر فـي السـلطة وحقـوق المواطـن. ليسـت هـذه نظـرة غيـر معقولـة. ففـي الأمـر مـا هـو أهـمّ مـن مُجـرّد الفهـم الدلالـي عـن طريـق تعريـف الثـورة، ذلـك أن فـي صلـب الموضـوع، المشـكلات العويصـة المتعلّقـة بهيـاكل السـلطة والمصالـح الحصينـة. وكيفمـا خلُـص المـرء إلـى تعريـف العمليّـة، علـى أنهـا ثـورة طويلـة، أو ثـورة تبـدأ بتحويـل سـريع وجـذريّ للدولـة، فـإن المسـألة الأساسـيّة هـي كيـف يُضمـن الانتقـال الجوهـري مـن حكـم الأقليّـة والنظـام الاسـتبدادي القديـم، مـن أجـل المباشـرة فـي تغييـر ديمقراطـي حقيقـي فـي اتجـاه المسـاواة، مـع تجنّـب الإكـراه العنيـف والقمـع؛ وكيـف يُضمـن أن النبضـات الجذريّـة فـي اتجـاه المسـاواة فـي المجتمـع، ومُثُـل الانتمـاء والأنصـاف والعـدل تبقـى فـي صميـم التفكيـر الجديـد. إن هـذه مسـائل أساسـية ومثيـرة، لا تـزال تنتظـر تحديـد إجابـات معقولـة. لكـن ثمّـة أمـرًا موكّـدًا: إن المسـيرة مـن القديـم الاسـتبدادي إلـى الجديـد المحَـرِّر لـن تجـري مـن دون صـراع مريـر والتـزام شـعبيّ مثابـر، فـي المجاليـن العـام والخـاص، فـي التفكيـر وفـي الممارسـة، فرديًّـا وجماعيًّـا. فالثـورة تلتـزم إعـادة تفكيـر جوهريّـة فـي السـلطة، وإعـادة تصـوّر جذريّـة لنظامنـا الاجتماعـي، والسـعي لمجتمـع تقـوده مُثُـل المشـاركة والرعايـة وروح المسـاواة والديمقراطيـة الجامعـة وفـي الحقيقـة، يمكـن أن يكـون علـى الثـورة الطويلـة أن تبـدأ حيـت تنتهـي الثـورة القصيـرة».

المشاركون في هذا العدد

الزهراء سهيل الطشم
أمل حويجة
أمل فارس
بينت شيلر
جبر الشوفي
جمال الشوفي
حازم نهار
راتب شعبو
رياض زهر الدين

ريمون المعلولي
سامر إسماعيل
سائد شاهين
سعيد بوعيطة
سلوى زكزك
سميح شقير
شوكت غرز الدين
شيرين عبد العزيز
عبد الرحيم الحسناوي

عبد الرزاق دحنون
عبد الله أمين الحلاق
عمّار الأمير
محمد عمر كرداس
مضر رياض الدبس
مهران الشامي
نور الهدى مراد
هدى سليم المحيثاوي
ورد العيسى

ميسلون
للثقافة والترجمة والنشر
Maysaloon for Culture, Translation and Publishing

السعر 15 دولارًا
2757-8909